

البداية والنهاية

يتعذر على هذا الجم الغفير فاحتاج أن يبيت قبل مكة ولم يكن منزل أنسب لمبيته من المحصب الذي كانت قريش قد عاقدت بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه فلم يبرم إلا لقريش أمرا بل كبتهم وردهم خائبين وأظهره الله دينه ونصر نبيه وأعلا كلمته وأتم له الدين القويم وأوضح به الصراط المستقيم فحج بالناس وبين لهم شرائع الله وشعائره وقد نفر بعد اكمال المناسك فنزل في الموضع الذي تقاسمت قريش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهجع هجعة وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليعمرها من التنعيم فاذا فرغت اتته فلما قضت عمرتها ورجعت أذن في المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق كما قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن أفلح عن القاسم عن عائشة قالت أحرمت من التنعيم بعمره فدخلت فقضيت عمرتي وانتظرني رسول الله ﷺ بالأبطح حتى فرغت وأمر الناس بالرحيل قالت وأتى رسول الله ﷺ البيت فطاق به ثم خرج وأخراه في الصحيحين من حديث أفلح بن حميد ثم قال أبو داود ثنا محمد بن بشار ثنا أبو بكر يعني الحنفي ثنا أفلح عن القاسم [عنها] يعني عائشة قالت خرجت معه يعني رسول الله ﷺ النفر الآخر ونزل المحصب قال أبو داود فذكر ابن بشار بعثها إلى التنعيم قالت ثم جئت سحرا فأذن في الصحابة بالرحيل فارتحل فمر بالبيت قبل صلاة الصبح فطاق به حين خرج ثم انصرف متوجها إلى المدينة ورواه البخاري عن محمد بن بشار به .

قلت والظاهر أنه عليه السلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه وقرأ في صلاته تلك بسورة والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور السورة بكمالها وذلك لما رواه البخاري حيث قال حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني اشتكي قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله ﷺ يصلي حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث مالك بإسناد نحوه وقد رواه البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن زينب عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال وهو بمكة وأراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون فذكر الحديث فأما ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة فهو إسناد كما